

## انسبي الحاج

### مفكرة حرب السلام

#### ٦ تشرين الاول

في آخر الليل وصلنا نداء حافظ الاسد الى السوريين . وانسا  
أقراه ، نسيت أخبار المارك . انتشلتني من غمرة التفاصيل . جعلني  
أرى أبعد من اليوم ، من المعركة ، من نتائج المعركة . انه خطاب يعتذر  
عن القتل الذي ستسببه الحرب . لم يقلها ، ولكنه روح السلام ،  
روح الرجل وراء الكلام : « لسنا هواة قتل وتدمير ... نحن طلاب  
حق وعدل ... نحن نرد عنا القتل والتدمير ... نحن نعشق  
السلام ... نحن نعشق الحرية ... »

هؤلاء هم العرب الحقيقيون . العرب الانسانيون ، عرب السلم  
والمحبة والتسامح . ونداء الاسد الى شعبه كان يمكن ان يقوله كسل  
عربي حقيقي .

فالحرب بالنسبة الينا ليست سكرة دم من أجل مجسد القوة .  
انها حرب اليأس من الوسائل الاخرى كلها . انها حرب الابرياء الذين  
يكرهون الحرب ، ومع هذا يخوضونها لان العالم ، العالم الذي يعرف  
ولا يريد ان يعرف ، دفعنا دفعا الى الانفجار .

قرات نداء حافظ الاسد وتمنيت لو يسمعه العالم بكل لغاته .  
العرب الرحماء ، حتى الحرب لن تعمي انسانيتهم .  
وكم يبدو غيرنا حتى في السلم ، من أقصى العالم « المتحضر »  
الى اقصاه ، متوحشا تحت قناع الحضارة .

#### ٧ تشرين الاول

مدبرة ... ليست مدبرة ...  
مدعومة ... ليست مدعومة ...  
ملقومة ... ليست ملقومة ...  
لماذا اشتعلت هذه الجهة ولم تشتعل تلك ؟ لماذا فالوا كذا ولم  
يقولوا كذا ؟ ما تراه يكون وراء الظواهر ؟  
وتكرر السلسلة . تساؤلات تستلذ الغموض وغموض يستلذ  
التساؤلات وثرثرة فوق الدم .  
وعلى الجبهات جنود يموتون وجنود سوف يموتون .  
ما أقل النفوس المقنعة !

وما أطيبت النفوس البسيطة ! وما أسعدتها !  
البسطاء يقولون : حرب .  
والحرب هي الحرب في نظر البسطاء ، لا تعقيد ولا فلسفة .  
البسطاء يعرفون انها الحرب ، وهذا يكفي .  
ويصلون .  
والله يسمع صلاتهم .

#### ٨ تشرين الاول

اذا اعتبرنا الوجود قوسا طرف منه الحياة والطرف الآخر هو  
التاريخ ، فاللحظات التي نعيشها ترخي طرف الحياة لتوصل التوتر  
في طرف التاريخ الى ذروته . التاريخ يسحبنا الآن من الحياة  
ويحتل الساحة .

من يصنع التاريخ ؟

غالبا ما نعلمنا ان التاريخ يصنعه المتمردون على الحياة ، المفاومون  
بها ، المؤمنون بالتاريخ ايمان الموحدين بالله . وهكذا يصبح التاريخ  
نوعا من الديانة ، تراوح طقوسها بين المبقرية والارهاب والحرب .  
وفي هذا التصنيف لصانعي التاريخ ، غالبا ما أبقى العرب خارجا .  
اعتبرناهم كلنا على وشك الانقراض لان التاريخ يصنع من دونهم .

اليوم تمرد العرب على التاريخ .  
تمردوا على التاريخ الذي يصنعونه لهم دون ارادتهم ويرغم  
ارادتهم .

وأجمل صفحات التاريخ لم يكتبها « صانعو التاريخ » الموالون له  
والشفوفون به كأنما هو الله ، بل كتبها المتمردون على التاريخ .  
وكتبوها كرامة للانسان وتمجيذا للخير الذي فيه وانقذا  
للجزء اللازمي منه ، للجزء الذي لم يستطع ان يسحقه التاريخ .  
وهذه هي حقيقة مفاجأة العرب في هذه الحرب . ومفاجأتهم  
لانفسهم قبل سواهم .

مفاجأتهم هي انهم تمردوا على تاريخ يصنعهم لهم العالم كله ليفرضه  
عليهم . وهذا التمرد هو الانتصار الحقيقي . بل هو الجواب  
الحقيقي .

وحيا له تأخذ الانتصارات العسكرية حجم الشكل امام الجوهر .

#### ٩ تشرين الاول

أمس قصفوا بور سعيد واليوم دمشق وحمص .  
البعض يقول : هذه هي الحرب لا فرق بين مدني وعسكري .  
سقى الله أيام زمان كانت الحرب أنبل . كان فيها قوانين شرف

ما نريده أبسط بكثير وأجمل بكثير وأصعب بكثير : انه العدل .  
 نريد ان نحيا . نريد ان نحيا دون تأجيل ودون خوف ودون ذل .  
 لا أن نكون ضحايا ولا ان نكون جلادين : بل أحرار .  
 وحماستنا هي حماسة مساجين أخذوا يبصرون بتأشير الضوء  
 يطلع من الساحات الحمراء .  
 فهل تفتح الحرب لنا ابواب السجن ؟

### أيها العالم نرفض (( احترامك ))

« كنا في أوروبا ... للمرة الأولى شعرنا باعتزاز لكوننا عربا .  
 تغيرت نظرتهم إلينا . صاروا يحترمونا » .  
 من منا لم يسمع صديقه العائد من سفر يخبره كلاما كهذا منذ  
 بدأت الحرب ؟

ولماذا تغيرت نظرة (( العالم )) إلينا ؟ لاننا أثبتنا اننا (( أفوياء )) .  
 وصار (( يحترمنا )) ..

... يوم كنا نضع ثقتنا في الامم المتحدة والقوانين والضمير  
 العالمي ، ساعين الى حل سياسي من غير اراقة دماء ، كان (( العالم ))  
 يحقرنا .

ويوم نزعنا ثقتنا من (( العالم )) وتجاهلنا ضميره الكاذب ، رفع لنا  
 قبعته وانحنى اجلالا .

أي عالم هو هذا (( العالم )) ؟

ألم يجد فينا ما (( يحترمه )) غير السلاح والحرب ؟ أهذه كل  
 فضائلنا ؟

وتسامحنا ؟ وانسانيتنا ؟ وتاريخنا ؟ وحضارتنا ؟ وكل ما فسي  
 انساننا من خير ومحبة وطيبة ؟ وحقوقنا العادلة الواضحة البديهية  
 الصارخة ؟ أهذه كلها كان يحقرها (( العالم )) ، كان يحقرها الغرب ،  
 لاننا لم نثبت قدرتنا الحربية ؟

سلام عليك أيها الشرق ! سلام على نومك وكسلك ! سلام على  
 (( انحطاطك )) و (( انهيارك )) و (( تخلفك )) !

فالنهضة في نظر العقل الغربي هي العنف ، والتقدم هو التنكر  
 للاخلاق ، والمدنية هي البطش ، والحق هو القوة المادية ، والتفوق  
 هو انعدام الرحمة ، والنجاح هو غاية الغايات ، و (( الاحترام )) هو  
 لمن ينتصر لا لصاحب الحق والقضية العادلة .

لقد كنا أصحاب حق وقضية عادلة ولم (( نتصر )) بالمفهوم الغربي  
 البربري ، ففقدنا (( احترام )) الغرب .

والآن يبدو اننا نستعيد (( احترام )) الغرب لا لانه اقتنع باننا  
 أصحاب حق وقضية عادلة ، بل لاننا (( أعجبنا )) كمحاربين !

« احترام » كهذا من يرضاه ؟

« احترام » لا يعبا بفضائله الانسانية الجوهرية بل تستوقفه  
 المظاهر وحدها ، من يرضاه ؟

« احترام » يتجاهلنا كشعوب و « يحترمنا » كجيوش فقط وشرط  
 ان تنتصر الجيوش ، من يرضاه ؟

في مملكة الوحوش لا بد ان يكون مقياس (( الاحترام )) أكثر نبلا  
 من هذا .

« احترام » كهذا هو في الواقع اهانة . واننا نرفضه .

ان لهذه الحرب شفاعتين :

الاولى انها حرب اصدقاء السلام .

والاخرى انها حرب الذين خيب (( العالم المتحضر )) كل آمالهم ،  
 فاضطروا ان يخاطبوه باللغة الوحيدة التي يفهمها .

وها هو بدأ يفهمها .

واذا كانت هذه الحرب شهادة للعرب فهي في الوقت نفسه شهادة

يخجل المتحاربون من مخالفتها .  
 انهدا تقدمت البشرية ؟  
 الكي تلمي التمييز بين الاعزل والسلم ؟ بين العاجز والقادر ؟  
 الكي تهدم حدود الاخلاق ؟  
 هل طوت البشرية كل هذه العصور لتطور أساليب الدمار فقط  
 وترك وراءها مبادئ الشرف ؟  
 لا نصدق .

البشرية قطعت مسافات الزمان كي تزيد من افتريها بعضها من  
 بعض ، كي نعمق شباك أيديتها ، كي تعزز اتحادها وتضامنها لتكسر  
 طوق عزلتها في الكون . من أجل هذا كان التقدم وبسببه . وهذا هو  
 ما سوف يكون .  
 أما الجنون فموجات تهضي .

### ١٠ تشرين الاول

لعل اكثر ما يُؤثر في نشوة المصريين بما حققوه خلال قتال الايام  
 الخمسة هذه ، انها نشوة أمة تقول للامم : نريد النصر من أجل حياتنا  
 لا من أجل موت الآخرين . نريد النصر لمجد الحرية لا لفرض الاستعباد .  
 أليس المصريون أذرق الشعوب في حب الحياة والفرح بها ؟  
 الحرب المفسولة بالنيل يصبح وجهها أفل بشاعة من أي حرب .  
 ونكاد نظير منها حمامات سلام من أجل الغد .

### ١١ تشرين الاول

تري ، ماذا يحدث من اليوم الى الاحد ؟  
 هل سيهوت رجال كثيرون ؟ هل تكبر الحرب أم ينزل العدل فجأة  
 بعد طول انتظار ؟

« حرب السلام » ، هكذا سماها رقيق شرف .

كان يقال ، من باب الاتهام ، ان الحرب لا تليق بالعرب .

في خمسة أيام صار يقال : والله العرب يحاربون !

وفي الغد ، وقد لنا استحقاق الحرب ، نريد ان يعود العالم  
 فيقول عنا : كم هم مسالمون هؤلاء العرب .

لانها حقا حرب السلام . لانها انفجار المسالمين في وجه من يرفضون  
 السلام . لانها الحرب على الحرب .

السلام عليك أيها الحرب ...

ملحق النهار

١٤ تشرين الاول

## لا ضحايا ولا جلادون ، بل أحرار

### شباك على الهواء

حماستنا هي حماسة ناس طبيين . انها حماسة من أجل الحياة .  
 والحرب ، هنا ، شباك انفتح فجأة على الهواء بعدما كاد البيت يختنق .  
 المشفقون الذين صدعوا الى السطوح يستقبلون بالمناديل طائراتهم  
 العائدة لم يفعلوا ذلك بنشوة الغزو ، بل بنشوة الانفراج .

لقد كانت الاحارب سدا يمنعنا من الحياة ولم تكن سدا يمنعنا  
 من الغزو . نحن لسنا توسعيين ولا استعماريين . نحن شعب لسه  
 جنور في الحياة ، وله عبقرية في الحياة ، وله شغف بالحياة يرقى  
 الى عهد لم تكن شعوب كثيرة اليوم موجودة بعد فيها على الارض .  
 ثم توات علينا الشدائد والاعداء والطامعون وكسرونا .

ماذا نريد ؟ النار ؟ كلا . خطأ من سماها حرب النار . نحن  
 أرسخ من ان نكون مجرد جزر لمد او مد لجزر .

## الياس لحدود

### مدافع اعماق الجولان

تصحو أشواق سفوحك .. تخضر العتمات ..  
تدوّن ايقاعات الوتبة في أجنحة الزمن  
الصاعد من حفر التاريخ ، وطائرة  
تنقضّ على طائرة تسقطها في الصخب ،  
تعود إلى الاجواء العربية .. بالامس  
رأينا عملاق الاسطورة ينزل عن سهوات  
الالهة ليصبح في اسر الاحزان بقايا  
انسان مشدود الاذنين ..

\*\*\*

وتصدح في الاحداق مدافع اعماق الجولان  
كان الوتر السادس في القيثارة يعزف وحده ..  
اعرفكم تنتظرون ، على جثث الايام ، الفرحة  
اعرفكم تصبون وفي الاعماق اجيج الالحان  
الخامدة يطأطأء مضغوطا .. اعرفكم في  
الاودية وفي القمم الفاضبة .. مدافع  
اعماق الجولان .. كان آوتر السادس ،  
طائرة تصعد في العصب الدايل ..  
ينتفض الشريان العصب ، يطير  
النسر تنوح الدبابات الاخرى ،  
طائرة تسقط اسطوره ..  
تلتطم الجهة الاخرى بالتاريخ يفيض  
اللحن ويفرق آخر ضوء ، ينزل علم  
عن صهوة قمه ..  
يتدحرج يأس آخر ،

\*\*\*

مدافع اعماق الجولان  
وكان الفجر ينادي المرتفعات الوسطى  
كانت الحان القيثارة من كل مكان تبدو  
حتى من سيناء ..  
مدافع اعماق الجولان  
وصواريخ الليل ، انا في ليلة عرس اكبر

( بيروت - مرجيون )

ضد « العالم المتحضر » .

وينسبة ما « يحترمنا » « العالم المتحضر » على هذه الحرب ،  
وينسبة ما يدين نفسه . فبسببه وحده وقعت .  
وهو الآن « يحترمنا » لاننا خضناها .  
وها نحن نحترقه على هذا « الاحترام » .  
ففي « احترامه » هذا فضيحتة كلها .

### الفعل ، الفن ، أيهما ؟

توفيق الحكيم يطلب « عملا يدويا » يساهم به في المعركة لان  
الكلمة ، كما قال ، لم تعد تكفي الآن .  
وبالامس ، شيخ آخر هو اندريه مالرو ، شيخ كلمة وشيخ عمر ،  
عرض هو ايضا ان يحمل السلاح .

لماذا يتأثر الناس بنوع خاص حين تصدر بادرة كهذه عن فنان ؟  
لان الفن هو ، بالضبط ، عكس الحرب . فالاول يحيي والاخرى  
تميت ، والاول فعل حب والاخرى اما ان تكون فعل يأس او تكون  
فعل جنون .

ولان الفن هو نقيض الحرب ، فعندما يقدم الفنان نفسه هدية  
في ساحة المعركة ويطلب ان يحمل السلاح كالجنود ، او ان يقوم  
بعمل « يدوي » نافع نفعا مباشرا وسريعا ، فانما يعطي الحرب وجهها  
انسانيا يرقى بها الى مستوى الجهاد المقدس في سبيل مثل عليا  
طاهرة .

يعطيها « ضميرا » ، يعطيها شفاعة عند الروح .

وهكذا يتعطل الفن ، تتعطل الكلمة حين يعمل المدفع .

وقبل ذلك قال نزار قباني ، عندما سئل كلمة في المعركة :  
الكلمة الآن للمعركة .

وأمس قال لي مسرحيان صديقان : اوقفنا مسرحية كنا نعددها ،  
ولا نعرف ان كنا سنعمل غيرها ، فلا نشمر ان هناك الآن ما نستطيع  
ان نقوله ..

لماذا ؟ لماذا يتعطل الفن في الحرب ؟ ربما لان الفن تأمل والحرب  
حركة ، ولان الحركة تنسف التأمل . ربما . وربما لان الفن حلم  
يخترق الحياة ، ولان الحرب يقظة تجتاح التاريخ .  
ربما .

لكن ابقى الفنان مشلولاً امام طغيان التاريخ ؟ ام يتخطاه بروياه ،  
بحسده ، بالجزء اللازمي فيه ؟

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

لكن الفنان ، اذا فضل الفعل في لحظات استثنائية من  
التاريخ كالحظات التي نعيشها ، فانما يفعل ذلك عطاء منه « فوق »  
عطائه الاصلي . يفعل ذلك ليعطي مثلا وليس بفعله ليسحب الثقة  
من الفن .

فالفن هو ذاته يتضمن الفعل . يتضمنه ويبدعه ويسبقه ،  
ويبقى بعده .

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

ويتردد الفنان احيانا ، وقد يتردد طويلا قبل ان يجيب . لكنه  
في النهاية يجيب : الفن .

لكل جبهته .

ولكل سلاحه على جبهته .

ولكل استشهاده ...

ملحق النهار

٢١ تشرين الاول